

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

القديس غريغوريوس اللاهوتي، حفزاه على الوفود على القديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي للمكوث معهما برهة من الزمن في خلوتهما في منسكهما في إيبورا مقابل أنيسي حيث أنشأت أخته مكرينا ديرها. فذاق هناك عذوبة حياة التوحد والصمت والانعتاق من الهموم الدنيوية، والتعمق في التأمل بأسرار الأسفار المقدسة والعقائد الإلهية. وقد أوعز إليه

القديس باسيليوس، الذي كان يعد قوانينه الرهبانية، أن يصنف كتاباً عن البتولية وكمال الحياة المسيحية. ولعل هذا الكتاب من أجمل ما نقله لنا

الأدب المسيحي عن حياة العذرية. ولما رفعت العناية الإلهية القديس باسيليوس إلى سدة رئاسة الكهنوت في قيصرية كبادوكية عام ٣٧٠، سعى إلى رصف الصفوف في وجه الإمبراطور فالنس الذي اضطهد الأرثوذكسين المتبعين لعقيدة المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية. فاخترار في من اختار أخاه غريغوريوس أسقفاً على مدينة نيصص الصغيرة. ولكن الأريوسيين نجحوا، من خلال افتراءاتهم وموآزره من الحاكم الروماني ديموستين، في أن يلقوا القبض عليه ويرسلوه إلى المنفى

القديس غريغوريوس

النيصصي

هو الإبن الرابع للقديس باسيليوس الشيخ وللقديسة إميليا، والشقيق الأصغر للقديسة ماكرينا (١٩ تموز) والقديس باسيليوس الكبير (١ كانون الثاني). وُلد حوالي العام ٣٣١ في قيصرية الكبادوك، واذ نشأ تحت كنف عائلة

مقدسة، لم ينطلق، مثل شقيقه باسيليوس، نحو المراكز الثقافية الهلينية الكبرى ليتابع تحصيله لدى كبار المعلمين، بل تلقف ثقافة عصره عند والده الذي كان أستاذاً

للفصاحة، فكان أن حصل علوماً فلسفية، أدبية وعلمية واسعة حتى أضحى أحد أبرز الأباء الذين عمدوا الثقافة الهلينية وأخضعوها لبساطة الإنجيل.

اعتمد في سن مبكرة وسيم قارئاً، وقد رغب في أن يكرس ذاته لخدمة الكنيسة. لكنه عاد فبدل خطته ليصير أستاذاً للفصاحة ويتزوج من الشابة الورعة «ثيوسيفية».

ولكن تأثره بشخص شقيقته ماكرينا، التي أقنعت والدتها وإخوتها باعتناق السيرة الرهبانية، والمثل الجذاب لصديق الأسرة

الرسالة

(أفسس ٤: ٧-١٣)

يا إخوة لكل واحدٍ منّا أعطيت النعمة على مقدار موهبة المسيح* فلذلك يقول لما صعد إلى العلى سبى سبياً وأعطى الناس عطايا* فكونه صعد هل هو إلاً أنه نزل أولاً إلى أسافل الأرض* فذاك الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق السموات كلها ليملاً كل شيء* وهو قد أعطى أن يكون البعض رؤسلاً والبعض أنبياءً والبعض مبشرين والبعض رعاةً ومعلمين* لأجل تكميل القديسين ولعمل الخدمة وبنيان جسد المسيح* إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدة الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى مقدار قامة ملء المسيح.

العدد ٢/٢٠١٠

الأحد ١٠ كانون الثاني

الأحد بعد الظهور الإلهي

تذكار أبينا الجليل في القديسين

غريغوريوس أسقف نيصص،

والبار دومنيانوس أسقف مليطة

اللحن السادس

إنجيل السحر التاسع

الإنجيل

(متى ٤: ١٢-١٧)

في ذلك الزمان لما سمع يسوع أن يوحنا قد أُسليم انصرف إلى الجليل وترك الناصرة وجاء فسكن في كفرناحوم التي على شاطئ البحر في تخوم زبولون وفتاليم. ليتم ما قيل بإشعيا النبي القائل: «أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون في بقعة الموت وظلاله أشرق عليهم نوراً ومنذئذ ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا، فقد اقترب ملكوت السموات.

تأمل

«إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدة الإيمان ومعرفة ابن الله» (أف ٤: ١٣).
تتلخص نتائج المعمودية كما يأتي: محو الخطيئة، مصالحة الإنسان مع الله، سكنى الله في الإنسان، فتح أعين النفس بالأشعة الإلهية، تهيئة كل شيء للمجيء الثاني. فإذا سمينا المعمودية ولادة أو

الجلدية»، والأهواء والموت، وما عاد قادراً على استعادة مكانته الأولى والدخول في شركة مع الله، ليكون كاهن الخليقة ومليها، إلا بتجسد المسيح. هذا الإنسان حين ينضم بالمعمودية إلى جسد المسيح، ويسعى إلى ازدياد حضور المسيح فيه، في نفسه وفي الجسد، عبر الأسرار، فإنه ينمو أدياً في الاتحاد مع الله ويقدم من حوله الإنسانية جمعاء، بل الكون بأسره، محولاً إياه إلى كنيسة.

تعيد له كنيسة المقدسة في العاشر من كانون الثاني، كما أنها تقيم في اليوم ذاته ذكرى زوجته القديسة ثيوسيفية. بشفاعاتهما ألهم ارحمنا وخلصنا، آمين.

عظة رأس السنة

في ما يلي العظة التي ألقاها سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس في قداس ذكرى ختانة السيد وتذكار أبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ورأس السنة. «اليوم، بعد نهاية خدمة القداس الإلهي سنتلو دعاء وطلبات بمناسبة رأس السنة ومنها: «يا مبدع الخليقة بأسرها، يا من وضعت الأوقات والأزمنة بذات سلطانك، بارك إكليل السنة بصلاحك يا رب، واحفظ بالسلام حكامنا ومدنيتك، بشفاعات والدة الإله وخلصنا».

بهذه الكلمات سنتوجه إلى الرب الخالق لنسأله البركة في بداية السنة، وسنطلب إليه «أن يجعل السنة المقبلة سنة خير ورفاه واستقرار بإرسال الأمطار في أوقاتها، وانتظام الرياح واعتدال الفصول وسائر أسباب الخصب وفرة الغلال»، كما سنسأله «أن يوطد روح السلام في العالم أجمع، ويثبت كنيسته المقدسة ويؤيدها مبعداً عنها كل خلل وتشوش، وحافظاً إياها من الأعداء المنظورين وغير المنظورين».

نطلب إذا في هذا اليوم الأول من السنة أن يبارك الرب الأوقات والأزمنة،

عام ٣٧٦. وما تمكن من العودة إلى أبرشيته إلا بعد سنتين على أثر وفاة فالنس عام ٣٧٨. لكنه لم ينعم بالسلام والطمأنينة لأن وفاة القديس باسيليوس الكبير مطلع سنة ٣٧٩ جعلته وريثه الأول في الدفاع عن الإيمان القويم. فشارك في مجمع أنطاكية حيث ناصر البطريك القديس ملاتيس (١٢ شباط)، كما سافر في بعثة لإعادة تنظيم كنيسة البنطس وأرمينية، حيث أقام أخاه بطرس أسقفاً على سبسطية.

وقد ألف مجموعة من الكتابات ضد المفكر الأريوسي المتطرف إنثوميوس للدفاع عن الطبيعة الإلهية من حيث هي غير مدركة، وضد أبوليناريوس ليؤكد على كون المسيح اتخذ طبيعة الإنسان واقتداها بكليتها. كذلك شارك القديس في المجمع المسكوني الثاني المنعقد في القسطنطينية عام ٣٨١، حيث دحض حجج الأريوسيين المضادين للاهوت المسيح ولبدعة محاربي الروح القدس. ومنذ ذلك الحين، اعتبر علماً من أعلام الإيمان القويم فشارك في سائر المجمع المحلية التي تصدت للهرطقات في زمانه، وزار العربية وفلسطين للمساهمة في حلحلة النزاعات التي كانت تكتنف كنائسها. ولما عاد إلى القسطنطينية، اتخذ الإمبراطور ثيودوسيوس أباً روحياً له ولعائلته. وحوالي ٣٨٦، لما ساد السلام في الكنيسة، وبعد وفاة زوجته ثيوسيفية، تمكن القديس من أن يتكرس بشكل كامل للحياة الروحية وإدارة الأديرة التي انشأها أخوه القديس باسيليوس. من كتاباته الروحية الخلابة في هذه المرحلة نذكر تفسيره لسفر نشيد الأنشاد، وحياة موسى.

يعلّمنا القديس غريغوريوس كيف أن الإنسان خلق على صورة الله، كانعكاس لكماله وسيادته وحرية. ولكنه إذ أساء استخدام حرية، خضع لناموس الفساد وارتدى «الأقمصة

إذا نعتناها بنعت آخر مماثل لا نتعدى الواقع مع العلم انها توقظ في النفس البشرية المستنيرة حديثاً معرفة الله. أضف إلى ذلك كونها حقيقة وقاعدة حياة. الحياة الحقيقية، كما يقول مخلصنا، هي معرفة ابن الله الوحيد يسوع المسيح (يوحنا ١٧: ٣)، أو كما يقول سليمان الحكيم «معرفة الله هي أساس الخلود» (حكمة ١٥: ٣). وإذا أردنا أن نعالج الأمر عقلياً فمن يجهل ان وجود الإنسان الحقيقي وسموه يقوم في حياته العقلية ومعرفة؟ وإذا كان الأمر كذلك فهذه الحياة تقوم على المعرفة الكاملة الخالية من كل ضلال. أهنك معرفة أكثر كمالاً من المعرفة التي تستهدف الله الذي يفتح أعين النفس ويوجهها نحوه بعيداً عن كل ضلال؟ هذا ما تفعله المعمودية.

مما تقدم تبين ان المعمودية تعطي مبدأ الحياة بيسوع المسيح إلى البشر كما تعطيهم الوجود والحياة الحقيقيين. فإذا

إنبعثت الغازات المسببة للإحتباس الحراري، مما سيؤدّي إلى ارتفاع منسوب مياه البحر وربما إلى زوال بعض الجزر والبلدان.

صورة سوداوية بلا شك، تجلّت بشكل واضح بعد قمة كوبنهاغن التي تلاقى خلالها مسؤولو الدول لمعالجة مشكلة هذا الكوكب الفريد الذي نعيش عليه.

نحن لا نعرف الكثير عن بقية الكواكب، والأمر العجيب أن الإنسان يحاول اكتشافها ويهدر الوقت والمال من أجل ذلك، ولم ينع إلا متأخراً أن عليه الإهتمام بكوكبه، بالأرض، وحمايتها بكل ما تختزنه من خيارات وما تحويه من تنوع بيئي، وأن عليه الحفاظ على توازنها ليحافظ على الحياة عليها.

إن تأمين بيئة حية نظيفة مسؤولية مشتركة علينا جميعاً نحن البشر أن نتحملها، وأعتقد أنه يتوجب علينا تغيير نمط عيشنا والتصرف بذكاء والتخلص من العادات السيئة للحصول على نوعية حياة أفضل.

وهناك أمور بسيطة للغاية، إذا حاولنا القيام بها، نكون قد ساهمنا في الحفاظ على بيئتنا ومددنا يد العون للمسؤولين الذين نطالبهم بالكثير وقد نبخل عليهم بالقليل مما هو في مقدورنا.

فماذا يكلفنا إذا زرع كل منا شجرة في أرضه أو شتولاً على شرفة منزله، وإذا خفف من هدر الماء أو الطاقة، وإذا تجنّب صيد الطيور لتبقى سيمفونية زقزقتها تملأ السماء، أو توقف عن قطع الأشجار أو التسبب في حرق الغابات أو تلويث الهواء؟

ولم لا يكون كل منا صديقاً للبيئة فلا يستعمل ما هو مؤذٍ لها ويستبدله بما هو مفيد؟ لم لا نستعمل مثلاً الطاقة الشمسية عوض مصادر الطاقة الأخرى، وقد حبانا الله مناخاً تشرق فيه الشمس كل يوم تقريباً؟ ولم لا نستعمل مصادر الطاقة المتجددة التي يكثر الحديث

كما نسأله أن يحفظ الحكام بالسلام، وأن يوطد روح السلام في العالم، وأن يحفظ المدينة أو المكان الذي نسكن فيه وأن يحفظ كنيسته المقدسة.

لكن اللافت في هذا الدعاء أننا نسأل الرب مبدع الكون أن يجعل السنة المقبلة سنة خير ورفاه واستقرار بحفظ الطبيعة «بإرسال الأمطار في أوقاتها وانتظام الرياح واعتدال الفصول وسائر أسباب الخصب ووفرة الغلال»، لأنه إذا اختل نظام الطبيعة اختل الوجود بأسره.

لطالما كان انتظام الكون موضع تساؤل وتعجب عند العلماء، وغير المؤمنين منهم بشكل خاص. ولطالما فتش الملحدون عن سبب علمي لهذا التناغم العجيب الفريد في الطبيعة وما زالوا، وجوابنا نحن معشر المؤمنين بالله الواحد أنه هو تعالى من خلق هذا الكون على هذا الشكل المنسق وهو من ملك الإنسان عليه. ولكن ماذا فعل الإنسان؟ عوض أن يحافظ على البيئة التي يعيش فيها، لكي يحافظ على نفسه، على حياته وحياة ذريته، راح يعيث فيها خراباً. الإنسان مبدع خلاق حين يشاء،

وأناي هدام في معظم الأحيان، يسخر كل شيء لمصلحته، غير عابئ بالنتائج السلبية لأعماله، وغير مهتم بمن سيأتي بعده. هكذا، على مر الأجيال، وبسبب تعديه على الطبيعة، بدأ نظام الطبيعة يتبدل، فلم نعد نشهد فصولاً أربعة، وارتفعت حرارة الأرض وعمّ الجفاف والتصحر والتلوّث فانقرضت أنواع نباتية وحيوانية، وزالت غابات كثيرة، وكثرت العواصف والإعصارات والفيضانات ونتج عن هذه الكوارث الطبيعية تشريد الملايين، فشهدنا بعد لاجئي الحروب لاجئين بسبب الكوارث الطبيعية، وبعد الجوع بسبب الفقر جوعاً بسبب شح الموارد الطبيعية. وهناك من يبشرنا بخطر ذوبان الكتل الجليدية إذ استمرت حرارة الأرض بالارتفاع، بسبب

كانت هذه الأفعال لا يظهر عملها في كل المستنيرين حديثاً لا يعني ان السر مسؤول عن ذلك بل الأفراد الذين لم يستعدوا جيداً لقبول النعمة أو لأنهم بددوا الكنز المعطى لهم بالمعمودية.

ألا يكون أجدى وأعدل لو اتهمنا أولئك الذين لا يحملون إمكانية قبول السر بدلاً من أن نقول بعدم فاعلية السر الواحد المعطى للجميع! من الواضح ان هذه الغزارة من المواهب تعود إلى المعمودية لا إلى طبيعتنا ولا إلى الجهد الشخصي والأ كيف يمكن أن يكون الشيء الواحد مضيئاً ومظلماً في وقت واحد؟ كيف يمكن أن يجعل الإنسان سماوياً والا يجعله؟ يرفع إلى ما فوق ولا يرفع؟ أستطيع أن تنتهم الشمس بالظلمة وأن ننكر نورها إذا كان بعض البشر لا ينظرون أشعتها؟ اننا نخاطب الذين ينظرون وإذا تكلمنا خلافاً لذلك فإننا نتهم بعدم المنطق، إذا قلنا ان من الإستنارة يصدر غير النور وغير ما تعنيه هذه الكلمة.

القديس نيقولا كاباسيلاس

عنها في أيامنا كالرياح والمياه والشمس لتوليد الكهرباء عوض الإتكال على المعامل أو المولدات التي تنفث سموماً في الهواء؟ ولم لا نزرع الأشجار في مواقع الكسارات والمقالع التي استنزفناها، وكلنا يعرف أن الشجرة تحتزن الكربون الذي يسبب الإحتباس الحراري وتعطي الأوكسجين الذي ينقي الهواء؟ ولم لا نفرز النفايات ونستفيد منها عوض تكديسها في بعض الأماكن وتشويه البيئة وإيذائها؟ ولم لا نحافظ على المساحات الخضراء عوض هدرها من أجل بناء الأبراج وتكديس الباطون؟

الأمثلة كثيرة ومعظمها في تناول الجميع، ومتى عم الوعي البيئي وخف الجشع وتحسن السلوك البشري، ربما خف أنين الطبيعة وخف الضرر الذي يلحق بالإنسان وبسائر الكائنات الحية.

ربنا خلق الكون وما فيه، ثم خلق الإنسان ملكاً على الكون، ومن واجب الإنسان الحفاظ على نفسه وعلى بيئته، وكلها نعم سماوية، لذلك درجت العادة على تقديم بواكير الأرض للخالق، عربون شكر وتمجيد. رب قائل ما بالك مهتم بالطبيعة والبيئة والإنسان في بلدي قد لا يجد من يهتم به.

في القديم قيل صاحب الحق سلطان. لا أدري إن كان هذا المثل ينطبق على أصحاب الحق في أيامنا لأن بعضهم، بعض أصحاب الحق، قد لا يجدون من يعترف بحقهم أو يدافع عنهم للوصول إلى حقهم. وأنا أقول هذا القول بمرارة لأنني أعرف بعض هؤلاء.

إن لم يكن الإنسان محترماً في وطنه فهل يحترم هذا الوطن؟ نحن نفترض أن احترام الإنسان وحقوقه أولوية الأولويات، وهو موضوع غير قابل للنقاش، والأديان السماوية جميعها دعت إلى ذلك، ورسائل البلدان الراقية تصون حقوق الإنسان

وحرية، لذلك كان حديثنا اليوم عن الطبيعة التي يشوهها الإنسان. دعائي في هذا اليوم الأول من السنة أن تكون السنة القادمة سنة سلام وخير وبركة، سنة مباركة بحضور الله الدائم في قلوب البشر، سنة عدل يتم فيها إعطاء كل ذي حق حقه، ويعامل الجميع خلالها على أساس الكفاءة والجدارة لا المحسوبية أو قوة الذراع.

كما نسأل الله أن يبلمس قلوب الحزاني، ويشفي المرضى، ويحرر الأسرى ويحتضن المظلومين برحمته ويزرع محبته في قلوب الجميع لكي يعم السلام في القلوب أولاً ثم على وجه الأرض.

ولا ننسى طبعاً من فارقنا من الأحياء، ونصلي من أجل أن يغمرهم الرب الإله برحمته وحنانه ويسكنهم مع الصديقين والأبرار.

حفظكم الرب الإله من كل شر وحزن ووجع ومن الأعداء المنظورين وغير المنظورين كما سنقول في نهاية الخدمة، وأعاد عليكم هذه المواسم المباركة إلى سنين عديدة».

عيد القديس أنطونيوس

بمناسبة عيد أبينا البار أنطونيوس الكبير المتوشح بالله بترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء السبت ١٦ كانون الثاني في كنيسة أبويننا البارين أنطونيوس الكبير وبورفير يوس الرائي في دار المطرانية وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ١٧ كانون الثاني في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb